الشكوى في شعر أبي منصور الثعالبي

بحث تقدّم به الطالبان: **عبد الحسين نايف صينخ**

فاطمة ماجد جباري

الى مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس

في اللغة العربية وآدابهـــا

بإشراف: **م. د.: صلاح حسون جبار**

١٤٣٩ هـ ٢٠١٨ م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للــه منزل الكتاب المعجز على أفصح الناطقين والصلاة والسلام على من بلغ رسالات اللــه تعالى فأجاد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

أقــدم هذا البحث فــي مادة الأدب العربـــي الموسوم بـ (الشكوى فــي شعر أبي منصور الثعالبـــي)، وقد قسّمتُ الموضوع الى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحـــث.

فأمّا التمهيد فتطرقتُ فـيه بالحديث عن الشكوى فــي اللغة، وغرض الشكوى فــي الشعر العربي، وبواعث الشكوى، والمراحل التي مرّ بها غرض الشكوى عبر عصور الأدب العربـــي القديم.

أمّا المبحــث الأول: فتناولت فـيه حيـــاة أبي منصور الثعالبـــي اسمــه ونسبــه ونشأته وأخباره ووفاته مع ذكر أهــم مؤلفــاته.

وأمّا المبحــث الثاني: فأطلقت عليه مظاهر الشكوى فــي شعر أبي منصور الثعالبـــي، الشكوى من المرض، ومن الفاقة وبساطة المال، ومن طوارق الدهر، ومن حوادث الزمان.

وأمّا المبحــث الثالث: فكان عن الخصائص الفنية لشعر الشكوى من اللغة والأسلوب، والايقاع الشعري، والصورة الفنية. ثم الخاتمة وأهــمنتائج البحث التي أوجزت فــيهما ما توصلت اليه من هذا الجهد المتواضع. ثم ثبتٌ بأهــمالمراجع والمصادر التي رجعت اليها أثناء البحث. ومن اللــه التوفــيق.

التمهيد

أولاً: - الشكـــوى فـــي اللغة

جاء فـــي لسان العرب: ((شكا الرجلُ أمرَه يشكـــوهُ شكواً على فَعْلاً، وشكوى على فَعْلَى، وشكاةً وشِكايةً على حدّ القلبِ كعِلايةٍ)) [١]، أمّا عند الجوهري (ت ٣٩٣هـ) فكانت على أمرين:

- شكوتُ فلاناً أشكوهُ، إذا أخبرت عنه بسوء فَعَلَه بكَ.
- وأشكيتُ فلاناً، إذا فَعلتُ به فِعلاً أحوجه الـــى أنْ يشكـــوك [٢].

كما وردت الشكـــوى بلفظها الصريح فـــي النص القرآني الكريم بذكر فعلها، وتمثل ذلك فـــي نصين هما:

الأول: قوله تعالـــى: ((قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ)) [٣]، حكاية عن شكوى نبي الله يعقوب عليه السلام الـــى الله عز وجل.

الثاني: تمثل فـــي قولـــه تعالـــى: ((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ)) [٤]، حكاية عن المحاورة التي دارت بين المرأة التي ظاهرها زوجها ورسول الله ﷺ .

أمّا النص الأول: فإنَّ الشكـــوى فـــيه كانت عن الإفصاح وإظهار ما فـــي النفس مـــن حزن وهم، فالنبي يعقوب عليه السلام يشكـــو الـــى الله حزنه على ولده يوسف عليه السلام، فصارت الشكـــوى بهذا القصد ضراعة وعبادة لأنَّ الدعاء عبادة، فدلَّ الفعل هنا على ما فـــي النفس بدلالة قرينة البث والحزن [٥].

أمّا النص الثاني: فإنَّ الشكـــوى فـــيه شكوى تظلّم وطلب إزالة الضر، فالمرأة فـــي هـــذه الآية وجهت شكواها الـــى الله تعالـــى طالبة العدل فـــي حقها وحق بنيها، وفـــي قولـــه (سَمِعَ) معنى

---

(١)لسان العرب (شكا): ابن مـنظور: ٤٣٩/١٤.
(٢)ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية (شكا): إسماعيل بن حماد الجوهري: ٢٣٩٤/٦.
(٣)يوسف: الآية: ٨٦.
(٤)المجادلة: الآية: ١.

(٥)ينظر: المفردات فـــي غريب القرآن: الراغب الاصفهاني: ٣٧، والتحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: ١٣/ ٤٤،٤٥.

الاستجابة للمطلوب وقبوله بدلالة قرينة (قد) فإنَّ المتوقع هو استجابة الله لشكواها [١].

ثانياً:- غرض الشكـــوى فـــي الشعر العربي:

إنَّ الشكـــوى ((فن مــن فنون الشعر الوجداني العميق، وهي بعد ذلك لون مــن ألوان الشعر المتجدد، لاتساع نطاقها بين الشعراء نتيجة للحياة الاجتماعية القاسية فـــي ذلك العصـــر، وبخاصة شكوى الزمان أو ((الدهريات)) وهناك مــن فروع هذا الفن شكوى الاهل والأصدقاء، وندرة الوفاء، واختفاء المعروف بين الناس)) [٢]، وكذلك فقد عُدّت الشكـــوى: ((عاطفة أساسها الشعور بالحرمان ولعلها مــن أول الفنون التي تفصح عن عاطفة الإنسان المتشائمة والناقمة)) [٣]، وقد انبثق غرض الشكـــوى مــن بواعثه الذاتية والاجتماعية والسياسية التي سنطرق أبوابها.

١- **البواعث الذاتية**: إنَّ الشكـــوى إحساس يلجأ اليه الانسان عند الشعور بالألم فـــي داخله، وعند عجزه عن الوصول أو تحقيق ما يطمح اليه، فنجـد الشاعـــر احمد الصافـــي النجفـــي عند محاولته اصلاح أخيه، وخيبته فـــي فشل محاولته، بل إنَّه لقي العداوة مــنه [٤]، وفـــي ذلك يقول [٥]:

نَصَحتُ أخاً فضَاع النَّصحُ فــيهِ وبالعدوان مــنهُ قد رجعتُ
خسِرتُ خسارتين أخاً ونُصحاً فقدتُ أخاً ونصحاً قد أضَعتُ

٢- **البواعث الاجتماعية**: قد تكون الأوضاع الاجتماعية مريرة، فالأحداث والمواقف تثير الألم وتذكي الوجع، فــيلجأ الشاعـــر الـــى الشكـــوى مــن هـــذه الأوضاع الاجتماعية المريرة، كما نجـده عند المتنبي وهو يشكي مــن الناس أنّهم يخادعون بودّهم، ولا يصدقون فـــي تعاملهم، ودينهم نفاق فــيقول [٦]:

فلَم أرَ ودّهُم إلا خِداعاً ولَم أرَ دينهم إلا نِفاقاً

---

(١)ينظر: التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: ٩/٢٨.
(٢)فنون الشعر فـــي مجتمع الحمدانيين: مصطفى الشكعة: ٦٩.
(٣)الشكـــوى فـــي شعر القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير): جواد رشيد مجيد: ٤.
(٤)ينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث: أحمد قبش: ٢٥٥.

(٥)ديوان أحمد الصافـــي النجفـــي: ٢٤٦.
(٦)ديوان المتنبي: عبد الرحمـــن البرقوقي: ٤٧.

ويشتكي الشاعـــر أحمد الصافـــي النجفـــي مـــن فساد المجتمع، فـــيقول [١]:

ألا تباً لمجتمعٍ دنئٍ تكوَّن جنسه مـــن كلّ رجسِ
أتيتُ لأنشرَ الإصلاح فـــيهِ فَلَم أصلحه بل أفسدتُ نفسي

٣- **البواعث السياسية**: إنّ للتقلبات السياسية واضطراب الأمـــن، وما فـــي المجتمع مـــن ظلم وعنف، وكثرة التغيرات فـــي الحكم له الأثر البالغ فـــي حياة الشعراء ممّا أدى الـــى إبراز عنصر الشكـــوى فـــي شعرهم، وهذا ما نجـــده عند الشاعـــر أبي العتاهية وهو يبعث شكواه الـــى هارون الرشيد مـــن غلاء الأسعار، فـــيقول [٢]:

إنّي أرى الأسعار أســـ عارَ الرَّعيةِ غالية
وأرى المكاسب نزرةً وأرى الضرورة فاشية
وأرى اليتامى والأرا ملَ فـــي البيوتِ الخالية
يشكـــونَ مجهدةً بـــأ صواتٍ ضِعَافٍ عالية

كما يُصور ابن المعتز الاضطراب السياسي والاقتصادي، فـــيبث شكواه مـــن الجنود وطريقة تعاملهم مع الرعية، وابتزازهم لأموال التجار [٣]، فـــيقول [٤]:

حتّى إذا ملَّ الحياة وضَجَر وقال ليتَ المال جمعاً فـــي شعر
أعطاهمُ ما طلبوا فأطلقا يستعملُ المشيَ ويمشي الفقا

وقد مرَّ غرض الشكـــوى بمراحل عبر عصور الأدب العربي القديم، أمّا فـــي العصـــر الجاهلـــي فإنَّ الشكـــوى فـــي هذا العصـــر كانت تمثل ظاهرة شغلت مساحة فـــي نفوس الشعراء، بين أغراض الشعر الأخرى، على وفق الظروف التي مرَّ بها الشعراء أنفسهم.

فقصائد الشعر الجاهلـــي بُنيت على أنواع الفنون الشعرية كالفخر، والغزل، والرثاء، والمديح، والهجاء، والوصف، لكـــنها تكاد تنصرف الـــى الشكـــوى إلا قليلاً، فطبيعة العربي لا يميل الـــى الخنوع أو الخضوع لإظهار الضعف، لكـــن هذا لا يمـــنع الشاعـــر الجاهلـــي، فـــي لـحظة مـــن

(١) ديوان أحمد الصافـــي النجفـــي: ١٣١.
(٢) ديوان أبي العتاهية: ١٤٥/١.
(٣) ينظر: طبقات الشعراء: ابن المعتز: ٨.
(٤) ديوان ابن المعتز: تحقيق: د. يونس أحمد السامرائي: ١٥٥/٢.

اللحظات أو فـــي موقف مـــن المواقف أن يشكـــو ويتظلم [١]، فنجـد أكثر المعانـــي التي طرقها الشاعـــر الجاهلـــي فـــي شعر الشكـــوى هي: شكوى القريب، وشكوى الزمان، وسوء الحال، وشكوى الحبيبة، كما نجـد فـــي الشعر الجاهلـــي الشكـــوى مـــن الموت والحياة [٢].

إنَّ نظرة الجاهلـــيين تقوم على الشكـــوى مـــن الزمان أو الدهر عند حدوث الموت، وقد رسموا فـــي أذهانهم قوة قادرة على الإهلاك [٣]، ونجـد هذا فـــي شعر الخنساء التي اشتكت مـــن الدهر الذي غدر بقومها وفتك بهم قائـــلاة [٤]:

تعرّقني الدهرُ نهشاً وحزاً ... وأوجعني الدهرُ قرعاً وغمزا
وأفنى رجالي فبادوا معاً ... فغُودِرَ قلبي بهم مستفزّا

وفـــيه نجـد شكوى عنترة بن شداد مـــن جور الأقارب، فصار يشكي الدهر ويعاتبه، قائـــلاًا[٥]:

أعاتب دهراً لا يلين لعتابِ ... وأطلب أمـــناً مـــن حروفِ النوائبِ
وتوعدني الأيامُ وعداً تقرّبي ... وأعلم حقاً أنّهُ وعدُ كاذبِ
خدمتُ أُناساً واتخذت أقارباً ... لِعوني ولكـــن أصبحوا كالعقاربِ

أمّا فـــي العصـــر الإسلامي: فإنَّ بزوغ فجر الإسلام قد حمل ثورة فكرية وإنسانية واسعة تصدت لمظاهر التعصب القبلي والاضطهاد والظلم الاجتماعي فتخرج الألفاظ مـــن طور البداوة الـــى طور الحضارة [٦]، فهـــذه النقلة التي أحدثها الإسلام فـــي الحياة العربية كانت لها الأثر البالغ فـــي الشعر العربي، وهذا يتمثل بتأثير الإسلام فـــي كلّ الفنون الشعرية التي كانت تسود عصر الإسلام، مـــن حيث الألفاظ والمعانـــي والأفكار والصور[٧].

---

(١) شعر الشكـــوى مـــن الحكام فـــي العصـــر الأموي (رسالة ماجستير): سالم عودة عطية الزبون: ٥٠٤.
(٢) الشكـــوى فـــي الشعر الجاهلـــي (مجلة): قحطان رشيد التميمي، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع ١٣، ١٩٧٠م.

(٣) الزمـن عند شعراء قبل الإسلام: د. عبد الاله الصائغ: ٦٤.
(٤) شرح ديوان الخنساء: تحقيق: عبد السلام الحوفـي، ٥٩.
(٥) شرح ديوان عنترة بن شداد: تحقيق: عبد المـنعم عبد الرؤوف شلبي: ٢٥.
(٦) ينظر: التطور والتجديد فـي الشعر العربي: د. شوقي ضيف: ٧١.
(٧) ينظر: الإسلام والشعر: د. سامي العاني: ٥.

فالشعراء مالوا عن الألفاظ الشديدة المستمدة مـن قساوة الصحراء وخشونة الحياة فـي البادية كما فـي العصـر الجاهلـي، الـى الألفاظ الرقيقة والكلام السهل فـي ظل الإسلام [١]، أمّا فـي شعر الشكـوى فقد خرج الشعراء بهذا الغرض الـى أمور أخرى غير ما كانت عليه فـي الجاهلـية، فقد ألصقوها بمبادئ الدين الجديد والايمان به وأكثر ما تكون الشكـوى الـى الله سبحانه وتعالـى [٢]، وقد ظهرت حتى فـي شكوى حبيباتهم، كما فـي قول جميل بثينة [٣]:

الـى اللهِ أشكو لا الـى الناس حُبهَّما ولابدّ مـن شكوى حبيبٍ يروّعُ
ألا تتقينَ الله فـيمـن قتلتهِ فأمسى اليكم خاشعاً يتضرعُ
ألا تتقينَ الله فـي قتلِ عاشقٍ لهُ كبدٌ حرّى عليك تقطّعُ

وليس هذا فقط، فقد تغيرت نظرتهم للشكوى، بعد أن تحولت فـي نظرهم الـى قيمة روحية، فزخر قاموسهم الشعري بمثلها الأخلاقية، وأفردوا لها قصائد كاملة [٤].

أمّا العصـر الأموي: فقد صوّر الشعراء الأوضاع الاجتماعية والسياسية الفاسدة، وتكلموا عن الظلم والجور واليأس الذي أنتشر فـي المجتمع [٥]، وهذا ما نجـده فـي شكوى الفرزدق، كما فـي قولـه [٦]:

لئِن قيسُ عليان اشتكتني لمثلها بها يشتكي حين مضتْ كلومها

ويظهر فـي هذا العصـر أنَّ شعر الشكـوى يدعوا الـى تقديم السلوك، وتطهير النفوس، وتهذيب الأخلاق.

أمّا فـي العصـر العباسي: فقد تطور الشعر تطوراً كبيراً فـي أغراضه ومعانيه وفـي أسلوبه الفني، لغةً ووزناً وقافـيةً، نتيجة الاختلاط بشتى الحضارات والمجتمعات الأخرى،

وتقدّم العلوم الدينية واللغوية والأدبية، واتساع حركة التأليف وظهور المعارف الفلسفية [٧]، ولكن من جانب

---

(١) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه: عبد القادر الجرجاني: ١٨.
(٢) ينظر: شعر الشكوى من الحكام في العصر الأموي (رسالة ماجستير): سالم عودة عطية الزبون:٨.
(٣) ديوان جميل بثينة شاعر الحب العذري: تحقيق: د. حسين نصار: ١١٧.
(٤) ينظر: ظاهرة الشكوى في شعر هذيل (رسالة ماجستير): بتول حمدي: ١٩٣.
(٥) ينظر: الشكوى في الشعر العربي (أطروحة دكتوراه): ياسمين أختر: ٢٤.
(٦) ديوان الفرزدق: تحقيق: مجيد طراد: ٥/١.

آخر ظهرت العديد من الأحوال السياسية والاجتماعية المتردية، فقد كثرت الشكوى من هذه الأحوال لما واجه الناس في القرن الرابع الهجري من ضروب المحن والنكبات [١].

وقد انقسمت الدولة في هذا العصر الى دويلات ممّا أدى الى كثرة النوائب والفقر والفساد، فظهرت الشكوى من الفساد والفقر وسوء المعيشة [٢]، وهذا ما نجده في شعر العباس بن الأحنف، كما في قوله [٣]:

يا أيُّها الجائر في حكمهِ ... هلمَّ إنْ شئت الى حَاكمِ
ما أنت بالمحسن فيما ترى ... منك ولا وصلِك بالدائمِ
أبيتْ ليلي كلهُ هائماً ... لستُ بيقظانٍ ولا نائمِ
جاوزت في الجورِ المدى كلَّه ... يا حبَّ لو أنصفتَ لم تأثمِ

وفي العصر العباسي الثاني تقدّمت جوانب الشكوى وتوسعت، وشاعت الشكوى من الدهر ومن الناس، وهي شكوى قديمة، غير أنَّها اتسعت في هذا العصر سعة شديدة، لما شاع فيه من كثرة البؤس والضنك في حياة المجتمع [٤]، وهذا ما نجده في شعر ابن الرومي وشكواه من البؤس، الذي كان تعبيراً عن بعض مظاهر الفقر [٥]، فيقول [٦]:

ومدَّ ذو العيلة فيهِ الإصبعا ... يشكو الى الله ويجري المدمعا
وأصبح القومُ البان وجوعاً ... وخشي الجائعُ أنْ لا يشبعا

(١)ينظر: تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان: ٢٦٣/٢- ٢٦٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣/٢.
(٣)ديوان العباس بن الأحنف: تحقيق: عاتكة الخزرجي:٣٠٠.
(٤)ينظر: الشكـــوى فـــي الشعر العربي (أطروحة دكتوراه): ياسمين أختر: ٢٨.
(٥)ينظر: تاريخ الأدب العربي- العصـــر العباسي الثاني: د. شوقي ضيف: ٢٤١.
(٦)ديوان ابن الرومي: شرح: أحمد حسن بسبع: ٧٢٦/١.

المبحث الأول :- حياة أبي منصور الثعالبي

أولاً:- اسمهُ ونسبه:

هو عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، وقد كنيَ بأبي منصور ولُقّب بالثعالبي[١]، ولُقِّب بهذا اللقب ، لأنه كان فراء يخيط جلود الثعالب ويصلحها، [٢]، وجاء عن ابن كثير: ، سمي بالثعالبي لأنه كان فرّاء يخيط جلود الثعالب، [٣]، وهناك رأي للدكتور زكي مبارك يقول: ، الثعالبي نسبة الى خياطة جلود الثعالب، قيل له ذلك لأنه كان فرّاء قبل أن يظهر أدبه ويعلو نجمه ويصعد صيته، [٤].

وفي ضوء ما سبق اتضح لنا اسم الثعالبي ونسبه، وسبب لقبه بـ (الثعالبي) وما اتصل ذلك بمهنة فكانت أولى محطات سيرته ومن ثم اتجاهه الى الأدب والتاليف.

---

(١) ينظر: وفيات الاعيان: ابن خلكان : ٣٥٢/٢.

(٢) فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي: تحقيق: (مصطفى السقا) و (إبراهيم الايباري):٦،٧.
(٣) البداية والنهاية: ابن كثير: ١٢/ ٤٤.
(٤) النثر الفني في القرن الرابع: د. زكي مبارك: ١٧٩/٢.

ثانياً:- نشأته واخباره ووفاته:

ولد أبو منصور الثعالبي النيسابوري في نيسابور، سنة خمسين وثلاثمائة للهجرة (٣٥٠هـ) وقد أجمع على ذلك كلّ من أرّخ له أو ذكره [١]، ولم يكن من بيت رفيع أو صاحب سلطان، وإنما كان هو من بيت يشتغل أهله بحرفة خياطة جلود الثعالب، فأرسلته اسرته الى الكتّاب حيث تلقى أول ثقافته، وتخرج أبو منصور في الكتّاب واختار أن يعمل مؤدّباً للصبيان [٢].

كانت ثقافة أبي منصور الثعالبي محدودة في أول الامر، هذا ما لم يساعده في إيجاد منزلة عالية بين العلماء الذين كانت تعج بهم نيسابور، لذلك عزم على الوصول الى منزلة العلماء، فأخذ عن الخوارزمي، وتثقف على آثار من سبقوه من العلماء والادباء، ودرس كتبهم، وهكذا هيأت له الظروف اللحاق بركب الامراء وخدمتهم بكتبه [٣].

ومهد له أدبه وعلمه فصادق أصحاب الأدب والجاه ومشى في ركاب السلاطين والوزراء، وأُتيح لأبي منصور من المراجع وأسباب الثقافة ما لم يتح لغيره من مؤرخي الأدب، فلا غرو أن نراه وقد أصبح عملاقاً بين أدباء عصره، وكان أبو منصور الثعالبي يتمتع بحافظة قوية وذكاء استطاع به أن يجنح الى التخصيص في كتبه ودراساته [٤].

رحل أبو منصور الى (بخارى)، وكان ذلك في أيام الأمير نوح بن منصور السامانى، ولم تدم اقامته طويلاً، لأنه هاجمهم ملك الترك فدخل بخارى وهرب (نوح) منها سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة للهجرة فعاد الى نيسابور، وأخفق أبو منصور في الحصول

على المال في رحلته هذه الا أنه ربح ربحاً غير منظور عندما لقى أفاضل الادباء في بخارى كالمأموني وأبي منصور سعيد بن أحمد البريدي وأبي بكر محمد بن عثمان النيسابوري الخازن [٥].

---

(١) ينظر: نزهة الالباء: ابن الانباري: ٣٦٥، ووفيات الاعيان: ابن خلكان: ٣٥٢/٢، والبداية والنهاية: ابن كثير: ٤٤/١٢.
(٢) ينظر: طبقات النحاة واللغويين: ابن قاض شهبة الاسدي: ٣٨٧/٢.
(٣) ينظر: التمثيل والمحاضرة: الثعالبي: تحقيق: عبد الفتاح الحلو: ٥.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٦.
(٥) ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: الثعالبي: ٢٥٦/٤- ٣٠٢.

وعند عودته الى نيسابور أتاحت له الفرصة التعرف على بديع الزمان الذي ملأ نفسه اعجاباً وأفاد منه كثيراً ووصفه بـ (معجزة همذان)، والتقى كذلك بأديب آخر هو أبو الفتح علي بن محمد البستي رحل بعدها الى جرجان بدعوة من صديقه المؤرخ المشهور بأبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي [١].

واستمر أبو منصور الثعالبي في سفره وتاليف الكتب وعكف في شيخوخته على تاليف ذيل لكتابه (يتيمة الدهر) وسماه (تتمة اليتيمة) فأور فيه تراجم كثيرة من حاشية السلطان مسعود بن السلطان محمود من الادباء وهذا الكتاب استغرق بقية عمره بعد ان أصبح شيخاً [٢].

ثالثاً:- وفاته:

لقد اختلف المؤرخون والادباء في تحديد السنة التي توفي فيها أبو منصور الثعالبي، فبعضهم ذكر أنه توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة للهجرة [٣]، وبعضهم قال أنه توفي سنة ثلاثين وأربعمائة [٤].

وليس فيما ورد من خلاف في سنة وفاته كبير بل فرق في الآراء يسير على آخر سنة تسع وعشرين، وهذا الخلاف حدث في الآراء، والسبب في هذا ان معظم كتب التراجم ذكرت أنه عاش ثمانين سنة [٥].

وقد رثاه الحاكم أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست الشاعر المشهور النيسابوري:[٦]

---

(١) ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: الثعالبي: ٣٠٢/٤- ٣٠٥.
(٢) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي: ١٦.
(٣) ينظر: وفيات الاعيان: ابن خلكان: ٣٥٢/٢، والبداية والنهاية: ابن كثير: ٤٤/١٢.
(٤) ينظر: طبقات النحاة واللغويين: ابن قاض بن شهبة الاسدي: ٣٨٧/٢، شذرات الذهب: عبد الحي بن العماد الحنبلي: ٢٤٧/٣.
(٥) أنوار الربيع في أنواع البديع: علي صدر الدين بن معصوم المدني: ١٧٢/١.
(٦) الوافي بالوفيات: خليل الصفدي: ١٤/ ١٠٠.

كان أبو منصور الثعالبي ... أبرعَ في الأدب من ثعلبِ
ليت الرديَّ قد منى قبلهُ ... لكنه أروع من ثعلبِ
يطعن من شاءَ من الناس ... بالموت كطعن الرُّمحِ بالثعلبِ

رابعاً:- أهم مؤلفاته:

اتصل أبو منصور الثعالبي بالأدباء الكبار، ولعل ابرزهم الخوارزمي محمد بن العباسي من خوارزم، ونزل ضيفاً على سيف الدولة في حلب، وعلى الصاحب بن عباد في الريّ، ثم عاد

الـــى نـــيســابور وقد علت مـــنـــزلته ونـــظر الـيه اهل نـــيســابور بعينـــ الـــاكـرامـــ والـــاعظامـــ [١].

وقد خلّف رســائله الـأدبية الـقيمـــة على مـــا فـــيها مـــنـــتكـلّف جـر الـيه الـغرامـــ بالـسـجـع والـبديع [٢]، وقد عدّه الـدكـتور زكـي مـباركـ: ، مـــنـــالـشخصيات الـتي نـــهضت بالـادب الـعربي، وشغلت الـنـــاســ عدّة أجـيالـ، وكـانـــ شاعراً، ولكـنـــ ديوأنـــــه ضاع ولمـــ يبقَ مـــنـــشعره الـا الـقليل، ومـــا أثر عنـــه الـشعر يدل على أنـــ كـتابته خير مـــنـــشعره، [٣].

ولمـــ يكـنـــ الـثعالـبي مـــتخصصاً فـــي فـرع بل كـانـــ ينـــهل مـــنـــكـل مـــورد، فـخاض فـــي علومـــ أخرى كـالـنـــقد والـبلاغة والـلغة والـتاريخ فـأصبح بحق الـاديب والـشاعر والـنـــاقد والـنـــاثر الـبليغ الـفـصيح الـلغوي الـحافـظ الـأمـــينـــ، حيث كـوّنـــت مـــؤلفـاته مـــوسـوعة لثقافـة الـقرنـــ الـرابع لا يكـاد يسـتغنـــي عنـــها الـعالـمـــ أو أديب، وقد أكـثر أبو مـــنـــصور الـثعالـبي مـــنـــالـاسـتشهاد بالـآيات الـقرآنـــية فـــي الـمـــواضع الـمـــنـــاسـبة وبخاصة فـــي كـتابه (فـقه الـلغة وسـر الـعربية) حيث جـعله عنـــوانـــاً صريحاً لسـر الـعربية فـــي مـــجـاري كـلامـــ الـعرب وسـنـــنـــها والـــاسـتشهاد بالـقرآنـــ على أكـثرها [٤].

---

(١) ينـــظـر: يتيمـــة الـدهر فـــي مـــحاسـنـــ أهل الـعصر: الـثعالـبي: ١٢٧/٣.
(٢) ينـــظـر: نـــزهة الـالـباء: ابنـــ الـانـــباري: ٣٦٥.
(٣) الـنـــثر الـفـنـــي فـــي الـقرنـــ الـرابع الـهجـري: د. زكـي مـباركـ: ٢٥٩.
(٤) ينـــظـر: أبو مـــنـــصور الـثعالـبي وآثاره الـأدبية: (رسـالـة مـاجـسـتير): حسـينـــ مـــحمـــد سـعيد عبد الـحليمـــ: جـامـــعة الـأزهر/ كـلية الـلغة الـعربية: ٥٦.

تنـــوعت مـــؤلفـات أبو مـــنـــصور الـثعالـبي بينـــ الـأدب والـلغة، فـقد كـثرت عنـــده الـاشعار فـــي مـــختلفـ الـأغراض الـشعرية مـــنـــها: الـمـــديح، الـوصفـ، والـخمـــريات، والـغزل بالـمـــذكـر، والـغزل بالـنـــســاء،

والـاخوانـيات، والـشكـوى، والـهجـاء، والـحكـمـة، والـرثاء، وكـذلكـ كـتابه الـنـثر الـفـنـي، وقد كـانـ الـثعالـبي يعجـب بالـأسـلوب الـسـهل الـواضح، الـذي يعلق بالـقلب دونـ عنـاء فـيقول: ، أبلغ الـكـلامـ مـا يؤنـسـ مـسـمـعه، ويؤيسـ مـصنـعه، [١].

وقد كـانـ للثعالـبي أثره فـي شيوع الـسـجـع والـتصنـيع، فـقد قدّمـ الـادباء مـنـكـتّاب وشعراء فـي يتيمـته بمـقدمـات مـسـجـوعة، أعتمـد فـيها على زخرفـ الـبديع [٢]، وهنـالـكـ مـؤلفـات كـثيرة مـنـها: (فـقه الـلغة وسـر الـعربية، ويتيمـة الـدهر، وثمـار الـقلوب فـي الـمـضافـ والـمـنـسـوب، وبرد الـأكـباد فـي الـأعداد، وحل الـعقد، ومـرآة الـمـروءة، وأحسـنـ مـا سـمـعت، وأحاسـنـ الـمـحاسـنـ، وغرر الـمـضاحكـ، والـفـرائد والـقلائد، والـتمـثيل والـمـحاضرة، وأجـنـاسـ الـتجـنـيسـ، والـمـبهجـ، والـطرائفـ والـلطائفـ، والـكـتابة والـنـهاية، والـلمـع الـفـضة، وكـتاب الـفـ غلامـ، وتتمـة الـيتيمـة، وسـر الـأدب، الـشمـسـ، الـسـياسـة، الـاعجـاز والـايجـاز، عيونـ الـنـوادر، افـراد الـمـعانـي، الـمـتشابه لفـظاً وخطاً، سـر الـبيانـ، الـتحسـينـ والـتقبيح، الـشكـوى والـعتاب، [٣].

---

(١) الـتمـثيل والـمـحاضرة : الـثعالـبي: ١٥٨.
(٢) الـفـنـ ومـذاهبه فـي الـنـثر الـعربي: د. شوقي ضيفـ: ١٥٧.
(٣) شذرات الـذهب: عبد الـحيّ بنـ الـعمـاد الـحنـبلي: ٢٤٧/٣.

وهذه مـــؤلفـــاته الـــمـــطبوعة والـــمـــحققة:

- كـتاب أجـنـــاس الـتنـــجـيس.
- أحاسـنـــ الـــمـــحاسـنـــ=أحسـنـــ مـــا سـمـــعت.
- كـتاب الـــأحاسـنـــ مـــنـــبدائع الـبلغاء.
- كـتاب أحسـنـــ مـــا سـمـــعت:
- كـتاب الـــأدب مـــمـــا للنـــاس فـــيه مـــنـــأرب.
- كـتاب إعجـاز الـــإيجـاز.
- غرر أخبار مـــلوكـ فـارس.
- كـتاب الـــأعداد، برد الـــأكـباد فـــي الـــأعداد.
- كـتاب أفـراد الـــمـــعانـــي.
- كـتاب الـــاقتباس.
- كـتاب الـــأمـــثالـ والـتشبيهات.
- كـتاب أنـــس الـشعراء.
- كـتاب الـــأنـــيس فـــي غزل الـتجـنـــيس.
- كـتاب بهجـة الـــمـــشتاق.
- كـتاب الـتجـنـــيس.
- كـتاب تحفـة الـوزراء.
- كـتاب الـتحسـينـــ والـتقبيح.
- كـتاب ترجـمـــة الـكـاتب فـــي آداب الـصاحب.
- كـتاب الـتفـاحة.
- كـتاب تفـضل الـــمـــقتدرينـــ وتنـــصل الـــمـــعتذرينـــ.
- كـتاب الـتمـــثيل والـــمـــحاضرة فـــي الـحكـمـــ والـــمـــنـــاظرة.
- كـتاب الـثلجـ والـــمـــطر.
- كـتاب ثمـــار الـقلوب فـــي الـــمـــضافـ والـــمـــنـــسوب.
- كـتاب مـــنـــغاب عنـــه الـــمـــؤنـــس.
- كـتاب الـــمـــنـــتحل.
- مـــؤنـــس الـوحيد فـــي الـــمـــحاضرات.
- نـــثر الـــنـــظمـــ وحل الـعقد.
- كـتاب نـــسـيمـــ الـــأنـــس.
- كـتاب نـــسـيمـــ الـسحر.
- الـــنـــهاية فـــي الـكـنـــاية.

- كـتاب الـنـــوادر والـبوادر.
- كـتاب الـورد.
- فـقه الـلغة وسـر الـعربية.
- خاص الـخاص.
- يتيمـــة الـدهر.

المبحث الثاني:- مظاهر الشكوى في شعر أبي منصور الثعالبي

إنـــ سـبب شيوع ادب الـشكـوى فـــي عصر الـثعالـبي، هو اضطراب الـأحوالـ الـسـياسـية والـاجـتمـاعية ومـــا أصاب الـنـــاسـ مـــنـضروب الـمـحنـ والـنـــكـبات والـوانـــ الـفـاقة والـحرمـــانـــ والـبؤسـ، فـذوو الـمـنـــاصب الـكـبيرة كـثيراً مـــا كـامـــوا يتعرضونـــ للقتل والـسـجـنـــ واسـتصفـاء الـأمـــوالـ والـأغنـــياء قلمـــا تصفـو لهمـــ الـحياة، لأنـــــهمـــ مـــهددونـــ بالـاسـتيلاء على أمـــوالـهمـــ، والـمـــثقفـونـــ لا يكـادونـــ يحصلونـــ على الـكـفـافـ مـــنـــالـعيش، والـطبقة الـعامـــة فـريسـة للجـوع والـمـــرض والـجـهل... لهذا كـثرت الـشكـوى مـــنـــالـنـــكـبات والـظلمـــ والـفـقر وسـوء الـحالـ كـثرة هائلة لا نـــجـد لها مـــثيلاً فـــي أيَّ عصر مـــنـــالـعصور، وكـانـــ مـــنـــأثر ذلكـ هذا الـأدب الـشاكـي الـحزينـــ الـذي نـــقرأه فـــي دواوينـــ الـشعراء [١].

وليسـ الـأديب بمـــعزل عنـــ جـمـــاعته الـتي ينـــتمـــي الـيها فـهو لا يقفـ مـــنـــالـأحداث مـــوقفـ الـمـــتفـرجـ، فـهو يشاركـ فـــي حياتها الـعامـــة مـــنـــقريب أو بعيد لأنـــــه فـرد مـــنـــالـهيئة الـاجـتمـــاعية يرتبط وأياها بروابط مـــشتركـة، والـأديب انـــســـانـــ حســاســ، رقيق الـشعور يتأثر بمـــا حوله مـــنـــأحداث الـحياة الـاجـتمـــاعية، فـــيتخذ الـلغة أداة للتعبير فـــينـــظمـــ الـشعر والـنـــثر [٢]، وهذا مـــا قرأنـــاه فـــي شعر أبـــي مـــنـــصور الـثعالـبي، فـقد ورد شعر الـشكـوى عنـــد الـثعالـبي بصور تمـــثلت بالـآتي:

أولاً: الـشكـوى مـــنـــالـمـــرض:

إنــ ســوء الــأحوالــ الــسـياسـية والــاجـتمــاعية والــاقتصادية أدت الـــى انــتشار الــأمــراض فـــي الــمــجـتمــع وقد انــعكـسـت هذه الــصور مـــنـــالــشكـوى فـــي شعر الــثعالــبي، فــالــشاعر يشكـو مـــنـــالــمــرض فـــي قولــه [٣]:

فــإنـــي مــريض وَهَمـــي عَرِيض وَطَرفـــي غَضِيض وعظمـــي مـــهِيض

فــهو يشكـو مـــنـــالــمــرض والــهمــ والــسـبب تدهور الــأحوالــ بصورة عامـــة، ويتكــرر ذلكــ فـــي قولــه [٤]:

---

(١) ينــظــر: الــأدب فـــي ظل بنـــي بويه (رســالــة مــاجــسـتير): مــحمــود غنـــاوي الــزهيري: ٢٣٩.
(٢) ينــظــر: الــمــصدر نــفــســه: ١١٣- ١١٤.
(٣) ديوانــ الــثعالــبي: تحقيق: د. مــحمــود الــجــادر: ٨٠.
(٤) الــمــصدر نــفــســه: ٨٢.

رَمـــضانـــ أرمـــضنـــي فــمــرَضنـــي بَصَا داتٍ على عدد الــطِباع الــأَربَعة

صومـــ وصفــراءٌ تجــرَّعنـــي الــرَدى وصَبَابةً وصدودٌ مـــنـــقلبي مـــعه

ونـــراه يشكـو مـــنـــكـبر الــعمـــر ويتحســر على أيامـــ شبابه كــمـــا فـــي قولــه [١]:

أبلى جــدِيدي وهَذانـــ الــجــديدانـــ والــشأنـــُ فـــي أنـــ هذا الــشيبُ لَيغانـــي

كــأنـــمـــا أعتمـــ رأســي فـــيه بالــجــبل الـــ راســي فــأوهَمـــنـــي ثُقلاً وأوهانـــي

وقولــه أيضاً ذاكــراً أيامـــ شبابه الــتي لا عودة لها، فــالــعمـــر يمـــر ســريعاً [٢]:

سـقى الـلـه أيامــاً لنــا لسـنــ رجـعا وسـقياً الـأيامــ شيباً مـــنـــعصرِ

لَيالــي أعطيت الـبطالــةَ مــقودِي تمــرّ الـلَيالــي والـشهور ولا أدري

ثانــياً:- الـشكـوى مـــنـــالـفـاقة وبسـاطة الـمــالـ:

إنــ سـوء الـأحوالـ الـتي يمــرّ بها الـنـــاسـ فـــي هذا الـعصر قد أصابهمــ بضروب الـمــحنــ والـنــكـبات والـوانــ الـفـاقة والـبؤسـ، ونــجـد فـــي دواوينــ الـشعراء ورسـائلهمــ وهمــ ينــدبونــ حظهمــ الـعاثر ويشكـونــ فـــيه الـجـوع والـعرى وقلة الـرزق ويسـجـلونــ فـــيه مــرارة الـفـشل والـاخفـاق فـــي مــيادينــ الـحياة وهذا مـــا نــجـده فـــي شعر أبـــي مـــنـــصور الـثعالـبي فـقد كـانـــت بيئته مـــسـرحاً لأحداث مـــرة مـــرّت عليهِ فـــيقول [٣]:

بيّ فـاقةٌ غطيتُها بتحجـلِ وتحمــل وتمــحّل وتسـترِ

فـالـحالـ ظاهرها مــرؤةَ مــوسـرِ ولكـنــ بَاطُنــهَا خَصاصَة مــعسـرِ

فـهو فـــي هذا الـشعر يصبر نــفـســه على الـفـقر، فـقد هاجـر عنــدمـــا أصابت نــيسـابور الـمــجـاعة فـهاجـرها فـقيراً مــعْدَمـــاً.

وشكـا الـشاعر لخالـقه شكـوى الـمــحرومــ قائلاً [٤]:

الـيكـ الـمــشتَكـى لا مــنــكـ رَبي وأنــتَ لِنــائِبات الـدهر حسـبِي

تروَّي غلّي وترمــ حالــي وتؤمـــنـــروعَتِي وتزيل كـرّبي

---

(١) ديوانــ أبـــي مـــنـــصور الـثعالـبي: ١٢٢.

(٢) الـمــصدر نــفـســه: ٦٥.

(٣) الـمــصدر نــفـســه: ٦٧.

(٤) الـمــصدر نــفـســه: ٢٥٠.

ويكـمـــنـــوراء هذه الـشكـوى ديونــ وحرمـــانــ وفـــي ذلكـ يقول [١]:

ثلاثَ مـــنـــيتُ بهنــ أضحَتْ لنـــار الـقلبِ مـــنـــي كـالـأثافـــي [٢]

دِيُونــ أنــقَضَتْ ظهري وجــورٌ مـــنـــالــأيامــ شابَ لهُ غَذَافـــي [٣]

وفــقدانــ الــكــفــافــ وأيّ عيشِي لمـــنـــيُمـــنـــى بفــقدانــ الــكــفــافــ [٤]

ونـــعرفــ أنــ بلاده، أصابها الــقحط، فــقد فــنـــي الــدقيق فـــيها، فـــيقول فـــي ذلكــ [٥]:

تَرَانـــي لســتُ أحســنــ نــظمــ لَفــظ يُزَينــ جــلِيلهُ لمــعنـــى الــدَقِيق

ولكــنــ لا تَدقْ بَنـــات فــكــرِي إذا مـــا قِيلَ قد فــنـــي الــدَقِيق

ثالــثاً: الــشكــوى مـــنـــطوارق الــدهر:

كــمـــا شكــا الــشاعر مـــنـــالــفــقر والــفــاقة والــحرمـــانــ وشكــا مـــنـــالــمــرض كــذلكــ كــانــ لشكــواه مـــنـــالــدهر حضور كــبير فـــي شعره جــاءت الــشكــوى مـــنـــالــدهر رد فــعل لِمـــا كــانــ يجــري فـــي الــبلاد بســبب الــظروفــ والــخلافــات والــمــحنــ والــنــكــبات والــمــصائب الــتي مــرّت على الــنـــاســ، وحضور الــشكــوى مـــنـــالــدهر على هذا الــشكــل فـــي شعر الــثعالــبي مــلفــتْ كــثيراً، وهو يجــســد طبيعة الــمــواقفــ والــظروفــ ومـــنـــذلكــ قول الــثعالــبي فـــي شكــوى الــدهر [٦]:

يا دَهرُ ويحّكــ قد أطلتَ جــفــائِي وتركــتَ مـــاءَ مــعيشتِي كــجــفــاءِ

تراكــ تحســبُ أنـــنـــي مـــنـــجــمــلةِ الـــ كــتاب والــأُدباء والــشعراءِ

حتى تُعادينـــي كــعادتكــ الــتي أنـــحَت عَوادِيها على الــفــضَلاءِ

هيهات قد أحســنـــتَ مـــا كــنـــتَ أحــ ســنـــهُ فــرِفــقاً لســتُ مـــنـــالــأُدباءِ

فــهذه الــأبـــيات تحمـــل الــلهفــة والــضيق الــذي اعترى الــشاعر مـــنـــالــنــكــبات، وهي تحمـــل صدق الــمــشاعر الــإنـــســانـــية الــتي يشوبها الــحزنـــ والــبلوى.

---

(١) ديوانــ أبـــي مـــنـــصور الــثعالــبي: ٨٩.

(٢) الــأثافـــي: أحجــار ثلاثة توضع عليها الــقدر فــوق الــمــوقد: الــمــعجــمــ الــوســيط: ٢٥.

(٣) غدافـــي: مـــا كــانــ لونـــه أســود: الــمــعجــمــ الــوســيط: ١٤٠.

(٤) الــكــفــافــ: مـــا كــانــ مــقدار الــحاجــة مـــنـــغير زيادة ولا نــقصانــ أيّ: مـــا كــفــ عنــ الــنـــاســ وأغنـــى يعيش فـــيه: الــمــعجــمــ الــوســيط: ٢٠١.

(٥) ديوانــ أبـــي مـــنـــصور الــثعالــبي: ٩١.

(٦) المصدر نفسه: ١٧.

وأضطر الشاعر الى بيع مملوكه ليدبر بثمنهِ أمور ضيقه، فأضف همأً الى همه، وشكا الدهر الذي طال نحيبه وتركه وحيداً كالغريب وقد سلبه السرور وفي ذلك يقول [١]:

يا دهرُ حسبكَ قد أطلتَ نحيبي وتَركتَني في موطني كغريبِ

وسلَبتني ثوبَ السرور بجامع ما بين وصفي خادمٍ وحبيبِ

فالشعرُ مني والدَمعُ لالئ منظم طَبعِي عاشقٍ وأديبِ

قد غابَ منرَبيعِي هلال مقمر في افق تَربِيتي وفي تأدِيبِي

فالآن يطلع في سوى دَارِي ولا ينفك فيه القلبُ رهن نحِيبِ

ند نفيس عند غيري فاتحٌ وأراهُ منعَجني ومنتَركيبي

وثمين عقد عند غَيرِي لائحٌ وأراه منظمي ومنتَرتِيبي

وقوله في شكوى الدهر [٢]:

أما ترى الدهرُ وأيامه في العمرُ مثل النار في الشيحِ

يمرُّ كالريح وما في يدي منمرها شيء سوى الريحِ

وقال في يوم منأيام الربيع الذي لم يتهيأ حسنه وطيبه مع حوادث الدهر [٣]:

صباحٌ محاسنهُ تَستَفيض وروضٌ أريض وغيم يغيضِ

فكيف الوفاء لما تقتضيه وحال الجريض دوين القَرِيضِ

---

(١)ديوان أبي منصور الثعالبي: ٢٦.
(٢)المصدر نفسه: ٤٣.
(٣)المصدر نفسه: ٨٠.

رابعاً: - الشكوى من حوادث الزمان:

إن مصدر الشكوى من الزمان هو الخطوب والمحن التي الحت على الناس في هذه الفترة فطبعت حياتهم بطابع الحزن والكآبة، وولدت في نفوسهم حقداً على هذه الأوضاع الفاسدة وبغضاً لها، فلما أرادوا أن يعبروا عن آمهم وأشجانهم ويفصحوا عن سخطهم ونقمتهم على بواعثها وأسبابها لم يستطيعوا أن يكونوا صرحاء في مواجهة الظالمين والطغاة بظلمهم وطغيانهم خوفاً من البطش والتنكيل، ولهذا تجاهلُ مصدر الفساد الحقيقي وكنوا عنه بالزمان أو الدهر أو الدنيا أو نحو ذلك من الالفاظ التي توهمها القوة المسيطرة على هذا العالم تدبر شؤونهم وتصرف أموالهم فنسبوا اليها كلّ ما يصيب الانسان من هذه الحياة من خير وشرّ [١].

فهذا الزمان اذن مصدر للبلاء ورأس الداء، فهو لذلك جدير بحقد البائسين والمنكوبين، خليق بالذم والسب والهجاء بأشنع الأوصاف،

وهؤلاء الأفراد من بني الانسان الذين يجارونه في نزفه وطيشه وعبثه، ويسيرون في ركبه هم أيضاً شركاء معه في الأثم يستحقون اللوم والتقريع والذم[٢]. هذه الحقبة من حوادث الزمان أنتجت شعراً حزيناً، ومنه شكوى الثعالبي، كما في قوله في ذم الزمان [٣]:

حَمدتُ الهي والزمان ذممتهُ فقد طَالَ ما اغرى بقلبي البَلَابِلَا

وعندي من لَوم الزمان دقائق أعدُ لها من فضل ربي جلَائِلا

وله أيضاً [٤]:

كم في ضَميرِ الغيبِ من أسرارِ تَهدِي اليَسار الى ذوي الأعسارِ

فاستَشعِر الظن الجميلِ تَوَقُعَا بمناجحِ الأوطار في الأطوارِ

---

(١) ينظر: الأدب في ظل بني بويه (رسالة ماجستير): محمود غناوي الزهيري: ٢٤٢.
(٢) المصدر نفسه: ٢٤٣.
(٣) ديوان أبي منصور الثعالبي: ١٠٠.
(٤) المصدر نفسه: ٦٦.

وقد تحمل من الزمان العبء الثقيل وقسوة الخطوب، فقال [١]:

كم الى كم تَبَرمي في حياتي أتلوى تَلَوي الحَياتِ

تحت عبء من الزمان ثقيل وخطوبٌ قوسن مني حياتِي

وكذلك قوله [٢]:

لكـ الـدنــيا ومــا فــيها بلادِ تُلاحِظُهَا بعَينــكـ احتِقارا

تَكـبَر ذا الـزمــانــ على بَنــيه فـعُش حتى تُعلمــهُ الـصِغارَا

وصار صِغَارَهمــ فــيه كـبارا فـدمــ حتى تَرُدَهمــ صِغارَا

حزمــت لكـ الـمــلوكـ أروض نــفـسـي لآمــــنــتحت خدمــتكـ الـعِثارا

ولو كـانــت لنــا الـدُنــيا جـعلنــا لكـ الـدُنــيا ومــا فــيها نــثارا

فـهو يشكـي همــه مــــنــتقلب الـأيامــ وقهر الـدُنــيا الـتي تكـبر فـــي عيونــ الـمــلوكـ والـمــتمــتعينــ بترفـها ونــزوتها، على الـرغمــ مــــنــعدمــ بقائها ونــفــاذ أيامــها حينــاً بعد حينــ.

---

(١)ديوانــ أبـــي مــنــصور الـثعالـبي: ٣٥.
(٢)الـمــصدر نــفـســه: ٥٧.

المبحث الثالث:- العناصر الفنية لشعر الشكوى

إنــ الـدراســة الـفـنــية للشعر الـعربي تضمــ عنــاصر أســاسـية مــتعددة وأول ذلكـ: الـكـلمــة الـمــنــطوقة ودلالــاتها ومــشتقاتها، ولا شكـ أنــــها تتصل بالــعقل،

فـهي أداة الـبشرية فـــي الـتفـاهمــ والـتواصل، فـليسـ ثمـــة كـلمـــة بلا مـــعنـــى وللشاعر أنـــ يسـتخدمـــها بأسـلوب فـنـــي خاص به [١].

والـعنـــصر الـثانـــي: هو الـصورة الـتشكـيلية الـخيالـية الـمـــغرقة فـــي الـخيالـ وهي اسـتعارة مـــنـــالـشعر للفـنـــ الـتشكـيلي بحيث يصبح أداة أسـاسـية أخرى مـــنـــأدوات فـنـــ الـشعر تمـــتزجـ به [٢]، وأمـــا الـعنـــصر الـثالـث للشعر فـــهو الـمـــوسـيقا، والـتي تنـــشأ عنـــ توافـق الـكـلمـــات وتضادها، وعنـــ طولها وقصرها أو عنـــ تتابعها وتعارضها، مـــمـــا ينـــتجـ عنـــه ابعاد زمـــنـــية مـــختلفـة عنـــد الـنـــطق بها، تخلق مـــوسـيقا ترتبط بالـإحسـاسـ والـشعور الـمـــتدفـق عنـــ سـياقها فـــي ارتباط مـــتكـامـــل مـــع الـصورة الـتشكـيلية الـخيالـية الـتي تعبر عنـــها الـكـلمـــات أو الـجـمـــل أو الـسـطور أو الـاسـاطير، وتتالـفـ كـلها لتبدع تكـوينـــها فـنـــياً قائمـــاً بذاته وهو الـشعر [٣].

وفـــي هذا الـمـــبحث سـنـــتحدث عنـــ أسـالـيب شعر الـشكـوى مـــنـــحيث خصائصه الـفـنـــية وبمـــا تفـــيض به مـــنـــالـجـمـــالـ وحسـنـــ الـتشبيه وتراكـيب الـكـلمـــات والـجـمـــل والـمـــوسـيقا الـشعرية:

أولاً:- الـلغة والـأسـلوب

يعد الـأسـلوب عنـــصراً اسـاسـياً فـــي الـشعر، فـهو يكـونـــ حصيلة الـفـكـر فـأسـلوب الـاديب وتعبيره يعكـسـ أفـكـاره ومـــشاعره وخيالـاته، كـمـــا أنـــه أيضاً مـــنـــصمـــيمـ الـفـنـــ، فـلا يوجـد فـنـــ بدونـــ أسـلوب كـمـــا لا توجـد صورة بدونـــ ظلالـ وخطوط [٤].

والـأسـلوب كـذلكـ هو الـمـــظهر الـمـــادي للإنـــتاجـ الـأدبي، والـصلة بينـــه وبينـــ الـمـــخاطبينـــ أو هو طريقة للمـــتكـلمـــ الـخاصة فـــي نـــقل أفـكـاره الـــى الـنـــاسـ وصوغها فـــي مـــثل وعبارات [٥].

---

(١) ينـــظـــر: الـشكـوى فـــي الـشعر الـعربي فـــي الـنـــصف الـأول مـــنـــالـقرنـــ الـعشرينـــ (أطروحة دكـتوراه): ياسـمـــينـــ أختر، ٢٣١.

(٢) ينـــظـــر: الـمـــصدر نـــفـســـه: ٢٣٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣١.
(٤) ينظر: في النقد الأدبي: د. شوقي ضيف، ٢٩.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩.

وهناك فرق بين اللغة والأسلوب:

فاللغة مؤسسة اجتماعية وهي نظام كلامي يغطي نظام الأشياء في الواقع ويحيل عليها، كما قامت اللغة لتكون بمثابة حارس على مطابقة كلّ دال بمدلوله الذي حوله في أصل الوضع ولكي يبقى كيان العلاقة سليماً، واللغة عنصر واسع الى درجة يعجز عندها المحلل منضبطها وتدقيقها.

أما الأسلوب فهو مؤسسة خاصة فلكل أديب أسلوبه الخاص، ويقوم الأسلوب على المباعدة بين هذين الوجهين للعلاقة (الدال والمدلول) ومن ثم أحداث فجوة بينهما والعمل على ادخال الخلل في العلاقة بينهما، كما إن الأسلوب يجسد الذات المتكلمة العاملة في اللغة وباللغة [١].

نجد في شكوى الثعالبي استخدام (اسلوباً خبرياً) فقد استخدم قد مع الفعل الماضي لتأكيد وتثبيت جور الدهر عليه وقد كررها في شكواه منجور الدهر بقوله [٢]:

يا دهرُ ويحّك قد أطلتَ جفائي ... وتركتَ ماء معيشتي كجفاءِ
أ تراك تحسب أنني منجملة الـ ... كتابِ والأدباءِ والشعراءِ
حتى تعاديني كعادتُك التي ... أنحت عَوادِيها على الفضَلَاءِ

وقوله [٣]:

يا دهرُ حسبك قد أطلتَ نحيبِي ... وتركتني في موطني كالغريبِ
وسلبتَ ثوبَ سروري بجامعِ ... ما بين وصف الخادم والحبيبِ

فتكرار الشاعر للأسلوب الخبري قد (أطلتَ) يؤكد ويثبت جور الدهر عليه مما أدى الى الشكوى منه.

وشكـا الـثعالـبي شكـوى الـمـحرومـ ولجـأ الـــى خالـقه تعالـــى بأسـلوب خبري فـــي قولــه [٤]:

الـيكـ الـمـشتَكـى لا مـنـكـ ربي وأنــت لنــائباتِ الـدهرُ حسـبي

تروّي غلتّي وترّمـ حَالــي وتؤمـــنــروعتِي وتزيل كـربِي

---

(١)ينـظـر: الـأسـلوب والـأسـلوبية الـمـقارنـة دراسـة نـظرية وتطبيقية: إبراهيمـ صبر الـراضي: ١٣-١٥.

(٢)ديوانـ أبـي مـنـصور الـثعالـبي :١٧.

(٣)الـمـصدر نـفـسـه: ٢٦.

(٤)الـمـصدر نـفـسـه: ٢٥٠.

فـقد بدء الـأسـلوب بالـمـنـاجـاة الـاسـتغاثة ليدل على الـالـمـ والـوجـع الـذي يحمـله الـشاعر مـنـنـوائب الـدهر وتوالـي الـكـروب والـرزايا.

ونـجـد أيضاً (الـأسـلوب الـإنـشائي) فـي شكـوى الـثعالـبي، فـقد اسـتخدمـ الـاسـتفـهامـ ليفـيد الـتنـكـير والـتقرير وأتى بالـأسـمـاء الـمـعرفـة لغرض تخصيص الـدلالـة على اثبات وعدمـ الـتغيير كـمـا فـي قولـه[١]:

أ تراكـ تحسـبُ أنـنـي مـنـجـمـلة الـ كـتابِ والـأُدباءِ والـشعراءِ

وقولـه [٢]:

أيا حجـراً صلداً مـنـيتُ بهِ فـلا هو يورينـي ولا يوري لي

ويشكـو الـشاعر فـي (أسـلوب الـنـداء) لغرض الـتوجـع والـتذمـر وإظهار الـالـمـ والـحزنـ فـي قولـه [٣]:

يا دهرُ ويحّكـ قد أطلتَ جـفـائِي وتركـتَ مـاءَ مـعيشتي كـجـفـاءِ

وفـي قولـه [٤]:

يا دهرُ حسـبُكـ قد أطلتَ نـحِيبِي وتركـتَنـي فـي مـوطنـي كـالـغريبِ

وفـي قولـه [٥]:

يا ليلةً طالـتْ كـأنـ نـجـومـها غُرَمـاءُ أرقبهمـ لدينـ واجـبِ

ويشكو الشاعر في أسلوب النهي لغرض التوجع والتحسر والضياع في قوله [٦]:

تَسلْ عن الدُنيا ولا تَخطِبنها ولا تنكحن قَتَالة منتناكحِ

وأحياناً يقتبس الشاعر من التراث الأدبي، أيّ أن الاقتباس في شعر الشكوى كان من الامثال في قوله [٧]:

---

(١) ديوان أبي منصور الثعالبي: ٢٠٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢٤.
(٣) المصدر نفسه: ٢٦.
(٤) المصدر نفسه: ١٧.
(٥) المصدر نفسه: ٢٣.
(٦) المصدر نفسه: ٣٣.
(٧) المصدر نفسه: ٣٥.

فكيف الوفاءُ بما تقتضيه وحَال الجرِيضِ [١] دُوين القَرِيضِ [٢]

فالمثل (وحال الجريض دوين القريض) يضرب لأمر يعوق دون عائق.

ثانياً:- الإيقاع الشعري

شاع عند المحدثين من العرب بمصطلح (موسيقى الشعر) وعرّفه كمال أبو ديب الإيقاع بأنه: ، الفاعلية التي تنقل الى المتلقي ذي الحساسية المرهفة الشعور بوجود حركة داخلية ذات حيوية متنامية، تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق إضفاء خصائص معينة على عناصر الكتلة الحركية، [٣].

إن الموسيقى المؤثرة في أيّ نص شعري ترتبط بعواطف صادقة ومشاعر مخلصة وخيال خصب، وتنقسم الموسيقى في الشعر الى:

الـمـوسـيقى الـخارجـية(الـوزنـ والـقافـية)، والـمـوسـيقى الـداخلية (مـوسـيقى الـالـفـاظ والـمـعانـي)، ومـلائمـتها مـع الـمـشاعر والـعواطف.

يشكـو الـشاعر فـي قصيدته على (الـبحر الـطويل)، فـي قولـه [٤]:

تَسـلْ عنـ الـدُنـيا ولا تَخطِبَنـها ولا تنـكـحنـ مـنـقَتالـة مـنـتناكـحِ

فـليسـ يفـي مـرجـوها بمـخُوفـها ومـكـروهها أمـا تَدَبرتَ راجـحِ

لقد قالـ فـيها الـواصفـونـ فـأكـثروا عنـدي لها وصفـ الـعمـرِ صالـحِ

فـتكـرار صوت الـروي (الـحاء) يحمـل قيمـة تعبيرية خاصة يؤدي مـنـخلالـها هذا الـصوت وظيفـة دلالـية فـي تصور مـا يجـول فـي خاطر الـشاعر. وله أيضاَ شكـوى على الـبحر الـطويل فـي قولـه [٥]:

---

(١) الـجـريض: الـشديد الـهمـ: الـمـعجـمـ الـوسـيط: ٤١.
(٢) الـقريض: صوت الـانـسـانـ عنـد الـمـوت، الـمـعجـمـ الـوسـيط: ٢٥٥.
(٣) فـي الـبنـية الـايقاعية للشعر الـعربي الـحديث: كـمـالـ أبو ديب: ٢٣٠.
(٤) ديوانـ أبو مـنـصور الـثعالـبي: ٨٠.
(٥) الـمـصدر نـفـسـه: ٦٦.

أقول لدهري وهو يخفـض رتبتي وينـحى على مـالـي ويخلِفـ تأمـيلي

أيا حجـراً صلداً مـنـيتُ بهِ فـلا هو يورينـي ولا هو يورى لي

فـفـي اختيار قافـية الـياء لهذه الـقصيدة فـي الـشكـوى مـنـالـدهر تحمـل دلالـة تعب الـشاعر مـنـكـثرة مـا مـرَّ عليه مـنـهمـومـ ومـصاعب.

أمـا الـبحر الـكـامـل فـهو مـنـالـبحور الـدالـة على الـشجـنـ والـلهفـة، ونـجـد فـي شكـوى الـشاعر فـي قولـه [١]:

بي فـاقةٌ اعطيتها بتحجـل وتحمـل وتمـحل وتَسـتُر

فـالـحَالـ ظاهرها مــروءة مــسـرِ لكـنــ باطنــها خَصَاصَة مــعسـرِ

فـنــجـد هنــا انــتقاء الـشاعر صوت الـراء قافــية لقصيدته، والـراء صوت مــكـرر مــجـهور يتكـونــ مــــنــتكـرر ضربات الـلسـانــ على الـلثة تكـرراً سـريعاً [٢]، وهذا الـصوت بمــا يحمــله مــــنــصفـات الـشدة والـقوة قد حمــل قيمــاً تعبيرية نــاسـبت مــا كـانــ يرمــي الـيه الـشاعر. وكـانــ (للبحر الـوافـر) نــصيب مــــنــشكـوى الـثعالـبي فـقد قالـ [٣]:

ثلاث قد مــنــيتُ بهنــ وأضحتْ لِنــار الـقَلبِ فــي كـالـأثافــي

ديونــ أنــقَضَت ظهرِي وجـورٌ مــــنــالـأيامــ شابَ له غَدَافــي

وفـقدانــ الـكـفـافـ وأيّ عَيشّي لمــــنــيُمــنــي بفـقدَانــ الـكـفـافـ

وقولــه أيضاً [٤]:

لكـ الـدُنــيا ومــا فــيها بلادِ تلاحِظُها بعينــكـ احتقارا

---

(١) ديوانــ أبــي مــنــصور الـثعالـبي: ٦٧.
(٢) ينــظـر: علمــ الـلغة الـعامــ – الـأصوات: كـمــالـ بشر: ١٢٩.
(٣) ديوانــ أبــي مــنــصور الـثعالـبي: ٨٩.
(٤) الـمــصدر نــفـسـه: ٦٢.

تَكـبرَ ذا الـزمــانــ على بَنــيه فـعُشْ حتى تعلمــه الـصغارا

وصار صغارهمــ فــيها كـبارا فـذُمــ حتى تردَهُمــ صِغَارا

كـمــــا زيَّنــ الـثعالـبي الـإيقاع الـداخلي لشعره ببعض الـفـنــونــ الـبلاغية الـتي أكـسـبت أبــياته انــسـجـامــاً مــوسـيقياً يتلاءمــ مــع الـمــغزى عرض الـشكـوى.

فـقد اسـتخدمــ الـثعالـبي (الـطباق) فــي كـلمــتي (مــسـر ومــعسـر) وكـلمــتي (ظاهر وباطنــ)، فــي قولــه[١]:

بي فـاقةٌ غطيتها بتحجـلِ وتَحَمــل وتمــحُل وتَسـترِ

فـالـحَالـ ظاهرها مــروءة مــوسـرِ لكـنــ باطنــها خَصَاصَة مــعسـرِ

أتى الـشاعر بكـلمــتي (مــوسـر ومــعسـر) وكـلمــتي (ظاهر وباطنــ) فـحالـته ظاهرها مــيسـرة، لكـنــ مــا فـــي باطنــها عسـيرة.

وجــاء (الـترصيع) فـــي شعر الـثعالـبي نــتيجـة حبه للسـجـع فـــي الـنــثر فـــي قولــه [٢]:

وأنـــسـى مــرِيض وهمـــي عَرِيض وطرفـــي غَضيض وعظمـــي مــهِيض

---

(١) ديوانــ أبـــي مــنــصور الـثعالـبي: ٣١.

(٢) الـمــصدر نــفـسـه: ٨٩.

(٣) ٨٠.

ثالـثاً:- الـصورة الـفـنـــية

أشار الـجـاحظ (ت ٢٥٥هـ) الـــى الـصورة مـــنــخلالـ نــظرته الـتقويمــية للشعر والـاشارة الـــى الـخصائص الـتي تتوافـر فـــيه فـــيقول: ، الـمــعانـــي الـمــطروحة فـــي الـطريق يعرفـها الـعجـمـــي والـعربي والـبدوي والـقروي، وإنــمـــا الـشأنــ فـــي إقامـــة الـوزنــ وتخير الـلفـظ وسـهولة الـمــخرجـ وكـثرة

الـمـــاء، وفـــي صحة الـطبع وجـودة الـسـبك، فـإنـمـــا الـشعر صنـــاعة وضرب مـــنـــالـنـــسـجـ، وجـنـــسـ مـــنـــالـتصوير، [١].

وفـــي هذا الـنـــص الـذي يعد مـــنـــأوائل الـنـــصوص الـتي تتحدث عنـــ الـتصوير، فـالـصورة تعطي الـشعر قيمـــة فـنـــية وجـمـــالـية لا يمـكـنـــ للمـــتلقي الـاسـتغنـــاء عنـــها، ويعنـــي هذا ، قدرته على اثارة صورة بصرية فـــي ذهنـــ الـمـــتلقي، وهي فـكـرة تعد الـمـــدخل الـأول أو الـمـــقدمـــة الـأولى للعلاقة بينـــ الـتصوير والـتقديمـــ الـحسـي للمـــعنـــى، [٢]. وقد أفـاد الـبلاغيونـــ والـنـــقاد الـعرب مـــنـــفـكـرة الـجـاحظ فـــي جـانـــب الـتصوير ، وحاولوا أنـــ يصبوا اهتمـــامـــهمـــ على الـصفـات الـحسـية فـــي الـتصوير الـأدبي وأثره فـــي إدراكـ الـمـــعنـــى وتمـــثله، وأنـــ اختلفـت آراؤهمـــ وتفـاوتت فـــي درجـاتها، [٣].

أمـــا قدامـــة بنـــ جـعفـر (ت ٣٣٧هـ) فـقد أوضح أنـــ مـــعيار الـجـمـــالـ ومـــقياسـ الـجـودة يرجـع للشكـل أكـثر مـــنـــالـمـــعنـــى، ويفـصل الـأشياء الـتي تعتمـــد عليها الـصورة الـمـكـونـــة لجـزيئاتها فـــيقول: ، لفـظ مـــنـــلفـظ، وعكـسـ مـــا نـــظمـــ مـــنـــبنـــاء، وتلخيص الـعبارة بالـالـفـاظ الـمـــسـتعارة وإيرادها مـــوفـورة بإتمـــامـــ، [٤].

والـصورة تشتمـــل على (الـتشبيه، والـكـنـــاية، والـاسـتعارة، وغيرها) لقد كـانـــ الـشعر فـــي الـبيئة الـشرقية فـــي عصر الـثعالـبي يغلب على أسـالـيبه مـــا يغلب على أسـالـيب الـكـتاب مـــنـــتكـلفـ بالـزخرفـ الـلفـظي وتعمـــد اصطنـــاع الـمـــحسـنـــات الـبديعية، وهذا شاعرنـــا الـثعالـبي يجـرب حظه فـــي قول الـشعر فـــي تلكـ الـبيئة الـتي اسـتمـــد ثقافـته مـــنـــها، فـكـانـــ الـشعر عنـــده تعبير عنـــ خلجـات نـــفـســـه أكـثر مـــنـــه وسـيلة لكـسـب الـمـــالـ، ويغلب على شعره مـــا غلب على شعر الـبيئة والـعصر مـــنـــزخرفـة لفـظية وتعلق بفـنـــونـــ الـبديع والـبيانـــ [٥].

---

(١) الـحيوانـــ: أبو عمـــرو عثمـــانـــ الـجـاحظ: ١٣/١.

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: جابر عصفور: ٣١٦.
(٣) الصورة الفنية معياراً نقدياً: عبد الاله الصائغ: ١٧٠.
(٤) جواهر الالفاظ: قدامة بن جعفر: ٣.
(٥) ينظر: أبو منصور الثعالبي وآثاره الأدبية (رسالة ماجستير): حسين محمد سعيد عبد الحليم: ٧٩.

وكان للتشبيه: ، وأعلم أن للتشبيه حدّاً، لأن الأشياء تتشابه من وجوه، وتتباين من وجوه فإنما ينظر الى التشبيه من أين وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر، فإنما يراد به الضياء والرونق، ولا يراد به العظم والاحراق، [١]، حضور في شكوى الثعالبي، فقد قال في شكواه من الدهر [٢]:

أما ترى الدهر وأيامه ... في العمر مثل النارِ في الشيحِ [٣]
يمرُ كالريحِ وما في يدي ... منمرها شيء سوى الريحِ

فقد شبه الشاعر أيام عمره كالنار التي تأكل في النبات، فهي تمرَّ سريعاً ولا يرى منها عيش هنيء، وتشبيه آخر شبهها بالرياح في سرعة مرورها وليس عنده شيء يمكن أن يخفف عنه ذلك وله تشبيه آخر في شكواه من الفاقة والعوز يقول [٤]:

ثلاثٌ قد منيتُ بهن أضحتْ ... لِنار القلب مني كالأثافي

شبه حرقة القلب بالأحجار التي يوضع عليها القدر فوق الموقد. وله تشبيه للدهر الذي جارَ عليه في شكواه منه، قوله [٥]:

أقولُ لدهري وهو يخفض رتبتي ... ويَنحَى على مالي ويخلِف تأويلِي
أيا حجراً صلداً منيتُ ببخله ... فلا هو يوريني ولا يُورَى لي

شبه الدهر في جوره وعدم رأفته بحاله بالحجر الصلد.

وكانت الكناية: ، أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به اليه ويجعله دليلاً عليه، [٦].

حاضرة فـــي شعر شكـوى الـثعالـبي فـقد قالـ فـــي شكـواه مـــنـــالـفـقر والـفـاقة [٧].

---

(١) الـبلاغة والـتطبيق: احمــد مــطلوب وكــامــل حسـنــ الـبصير: ٢٥٧.
(٢) ديوانــ أبـــي مـــنـــصور الـثعالـبي: ٤٣.
(٣) الـشيح: نــبت سـهلي فـــي الـفـصيلة الـمــركـبة كـثير الـأنــواع ترعاه الـمــاشية: الـمــعجـمــ الـوسـيط: ٣١٠.
(٤) ديوانــ أبـــي مـــنـــصور الـثعالـبي: ٨٩.
(٥) الـمــصدر نــفـســه: ٦٧.
(٦) الـبلاغة والـتطبيق: احمــد مــطلوب وكــامــل حسـنــ الـبصير: ٣٥٨.
(٧) ديوانــ أبـــي مـــنـــصور الـثعالـبي: ٦٤.

كـتبتُ مـــنـــصَومــعَةِ تَسـمــعُ بالـقُوتِ الـعَسـر
والـدهرُ فـــي جـفـائِهِ يلبسـ لي جـلدَ الـنـمــرِ

فـــي كـنـــايته صورة فـنـــية جـمــيلة فـقد عنــ الـدهر فـــي جـفـاءه بمـــنـــيلبسـ له جـلد الـنـمــر أي: يكـشفـ عداوته له.

الخاتمة

في نهاية المطاف لما يسعني الا أن أحمد الله العلي القدير الذي وفقني لإتمام هذا العمل الذي يبحر في عمق الأدب العربي، وقد سررت كثيراً حينما أقترح عليَّ أستاذي المشرف هذا العنوان لأنّي تناولت شيئاً ولو يسير من تاريخ الأدب العربي وتعرفت على عالم من أعلام اللغة العربية.

وفي ضوء ما تناولته في الدراسة، فقد توصلت الى نتائج الآتية:

- الشكوى بلفظها الصريح وردت في النص القرآني الكريم بذكر فعلها وذلك في نصين هما:

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ يوسف: ٨٦، وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ المجادلة:١.

- كان لغرض الشكوى في الشعر العربي بواعث عديدة منها: البواعث الذاتية، والبواعث الاجتماعية، والبواعث السياسية.
- مرَّ غرض الشكوى بمراحل عبر عصور الأدب العربي القديم، ففي العصر الجاهلي كان ظاهرة عامة شغلت مساحة واسعة في نفوس الشعراء، أمَّا في العصر الإسلامي فقد اختلف غرض الشكوى عمّا هو عليه في العصر الجاهلي فقد مال الشعراء الى أمور ألصقوها بمبادئ الدين الجديد والايمان به وأكثر ما تكون الشكوى لله سبحانه وتعالى. أمّا العصر العباسي فقد تطور هذا الغرض تطوراً كبيراً نتيجة الاختلاط في المجتمعات والثقافات.

- لم يكن الثعالبي متخصصاً في فرع من العلم بل كان ينهل من كل مورد، فخاض في علوم أخرى كالنقد والبلاغة واللغة والتاريخ، هذا التنوع في العلوم أدى الى التنوع في المؤلفات.
- كان للثعالبي أثره في شيوع السجع والتصنيع فقد قدّم للأدباء من كتاب وشعراء الكثير منه في مؤلفاته.
- شيوع شعر الشكوى في عصر أبي منصور الثعالبي بسبب سوء الأحوال السياسية والاجتماعية وانتشار الأمراض والفقر والفاقة.